

جهود رواد النهضة والجامع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث^١

توشيو كي تاكيدا*

مقدمة:

إن الهدف من هذا البحث هو توضيح المراحل التي عاصرتها المجتمعات العربية في تحديث اللغة العربية في القرن التاسع عشر مسلطاً الضوء على أبرز الشخصيات التي أسهمت في إحياء الوعي العربي لغوياً وثقافياً. وقد تناولت بعض العوامل الرئيسية التي أعتقد أنها كانت وراء تحديث اللغة وتنميتها في الأقطار العربية مما أدى إلى ازدهار حركة النهضة، وهي كالتالي:

- (١) التطور العلمي والتكنولوجي الذي نتج عن الاحتكاك بالحضارة الغربية.
 - (٢) انتشار التعليم وازدياد كتب النحو التعليمي في اللغة العربية.
 - (٣) تطور الطباعة وانتشار وسائل الإعلام المطبوعة (مثل الجرائد والمجلات).
 - (٤) بروز أهمية دور المثقفين العرب وظهور المؤسسات العلمية.
- ونظراً لهذه العوامل الاجتماعية والثقافية، بات رواد النهضة خاصة في مصر والشام (لبنان وسوريا) يتجادلون حول اللغة العربية ويناقشون قضاياها، ودعتهم الحاجة إلى إنشاء مؤسسات علمية لتنسيق مناقشة هذه القضايا. وقد أوضحت خطوات هذه التجربة حتى بداية تأسيس الجامع اللغوية العربية. وإنني أرى أن البحث في هذه الحركة اللغوية والثقافية يساعد على فهم العلاقة بين اللغة وسياسة الدولة والتغيرات التي تطرأ على الهوية العربية في العالم العربي حاضره ومستقبله.

نبذة موجزة عن تاريخ النهضة العربية:

بدأ عصر النهضة مع بداية الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة. فإذا قمنا بعرض الحركات الثقافية في هذه الفترة عرضاً موجزاً، نجد أن محمد علي قد انتهج سياسة إصلاحية للنهوض بمصر، فقد قام بإرسال البعثات التي كان يرأسها رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) إلى فرنسا ليقتبس من علومها وتقنياتها الحديثة^٢. ومن ثم أنشأ مدرسة الألسن عام ١٨٣٥م لتيسر عملية نقل المعارف الأوروبية وتساهم بدورها في إصلاح التعليم في مصر^٣. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن مطبعة بولاق قد تأسست عام ١٨٢١م، وكان لها دور هام في تطور حركة

* باحث ومدرس للغة العربية في جامعة كيوتو بقسم الدراسات العليا لدراسات المناطق الآسيوية والإفريقية-ASAFAS، وباحث بمركز دراسات الحضارة الإسلامية بجامعة كيوتو-KIAS.

١ لقد كتبت بحثي هذا بناءً على محاضرة ألقيتها في جلسة بعنوان «اللغة والثقافة والمجتمع في العالم العربي الحديث»، أثناء المؤتمر الدولي الذي عقد في ٢ و٣ ديسمبر عام ٢٠١١م في مدينة كيوتو بدعم من مشروع ITP (برنامج التدريب الدولي) تحت عنوان: "New Horizon of the Interdisciplinary Approaches to the Asian and African Area Studies".

٢ أما عن جهود رفاعة الطهطاوي في الترجمة وتوليد الألفاظ الجديدة، راجع بحثي المقدم عام ٢٠٠٩م، ص ٩٠، وبحثي الآخر لعام ٢٠١١م من ص ١٠ إلى ص ١٢.

٣ لمزيد من التفاصيل عن مدرسة الألسن، انظر كتاب «مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب في مصر» للدكتور عبد المنعم الجميحي.

الطباعة والنشر في عصر النهضة. وعن خلفيات تأسيس المطبعة، يقول العالم والحقّق المشهور عبد السلام هارون «ولقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه، فكرة قومية قبل أن تكون فكرة علمية، فإن طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركي وضغطه، كان يأخذ بمخنق العرب في بلادهم، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفس يحسون فيه بكيانهم المستمد من كيان أسلافهم، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون وينبشون كنوز الثقافة العربية، فانطلقوا في هذه السبيل، ينشرون ويحيون، إذ كانوا يرون أنهم أحق بهذا العمل النبيل وأجدر». ^٤ هكذا أسهمت المطبعة في تعزيز الوعي القومي بإحياء التراث العربي عن طريق طبع ونشر كنوز الثقافة العربية.

أما في سوريا ولبنان فقد بزغت شمس الوعي القومي العربي متجهة في طريقها نحو النهضة الأدبية والعلمية. فنجد جهودًا كبيرة بذلها المثقفون المسيحيون أمثال ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١م) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣م) في هذه المنطقة، فهم باكورة النهضة الأدبية بما أسهموا فيه من تطور للثقافة واللغة العربية. وتأسست على أيديهم «الجمعية السورية للعلوم والفنون» عام ١٨٤٧م، و«الجمعية العلمية السورية» عام ١٨٥٧م، و«المدرسة الوطنية» عام ١٨٦٣م، لتقوم هذه المؤسسات كلها بدور مهم في ترقية علوم اللغة العربية ونشر المعرفة بها.

هؤلاء المثقفون أكدوا على أهمية التضامن العربي الذي يعتمد على النواحي الثقافية والتاريخية دون التحيز إلى الجوانب الدينية بإعادة تقييم ذخائر الأدب العربي والتراث الثقافي التاريخي تحت سياسة السيطرة العثمانية. ومع ذلك لم تضاف حركة إيقاظ الوعي القومي أي لون على ساحة الفكر السياسي في هذه المرحلة. فإني أرى أن النهضة كانت نتيجة الصحوّة الأدبية العربية ولم تكن وليدة حركة سياسية على وجه العموم. ومن الجدير بالذكر أن معظم رواد النهضة الشوام قد هاجروا إلى مصر راغبين في حرية القلم والنشر، وقد أسهموا في حركة الطباعة والنشر والصحافة لتعزيز النهضة الأدبية والثقافية. إذ أنشئوا المطابع ودور النشر التي اهتمت بطباعة الصحف والمجلات مثل مطبعة «الأهرام» ١٨٧٥م التي قامت على يد سليم تقلا وأصدرت جريدة «الأهرام» بمشاركة أخيه بشارة تقلا منذ عام ١٨٧٦م، ومطبعة «الهلal» ١٨٩٠م التي صدرت عنها مجلة «الهلal» بمجهود جورجي زيدان، ومطبعة «المقتطف» ١٨٨٥م المشهورة بإصدار مجلة «المقتطف» ليعقوب صروف وفارس نمر، ولا يمكن أن نتجاهل بالطبع محمد رشيد رضا الذي أصدر مجلة «المنار» عام ١٨٩٨م من مطبعة «المؤيد» ومطبعة «المنار».

لهذا سأتناول رواد النهضة الذين بذلوا قصارى جهدهم في توعية العامة وتثقيفهم مسلطاً الضوء على حركات تحديثهم للغة العربية ونشاطاتهم في تطوير أساليب الكتابة الصحفية. فإني ترى كيف نهض هؤلاء المثقفون بالاجتماع عن طريق ترجمة المفاهيم الجديدة وتعريب الكلمات الدخيلة، وكيف قادوا مرحلة النهضة بلغتهم العربية؟ هذا ما سنتوصل إليه بدراستنا عنهم في الفصول التالية.

جهود الشدياق في الدراسات اللغوية والمعجمية:

يعد الكاتب والصحفي الناقد «أحمد فارس الشدياق» (١٨٠٤ - ١٨٨٧م) واحداً من أهم رواد

٤ من «التراث العربي» لعبد السلام هارون ص ٤٩.

٥ هناك مطابع أخرى اهتمت بإحياء التراث العربي ونشر العلم مثل مطبعة «الميمية» ١٨٥٩م لأحمد البابي الحلبي والتي تطورت لتصبح بعد ذلك مكتبتين منفصلتين وهما «مصطفى البابي الحلبي» و«دار إحياء الكتب العربية»، وهناك أيضاً مكتبة «الخانجي» ١٨٨٥م المعروفة بأصولها الشامية التي ترجع لمؤسسها محمد أمين الخانجي.

النهضة الذين دعوا إلى تحديث اللغة العربية وتنميتها وإثراء مفرداتها.

ولد الشدياق في «عشقوت» ببلدان لعائلة مسيحية كان يعمل بعضها في نسخ الكتب وبعضها في مجال التعليم، ونشأ في هذه البيئة العلمية وتأثر بها. ثم سافر إلى مصر عام ١٨٢٥م ليتلقى الأدب واللغة عن علمائها، وكان على اتصال برفاعة الطهطاوي فمنحه فرصة التحرير في جريدة «الوقائع المصرية». وبعد ذلك استدعاه المبشرون الأمريكيون إلى جزيرة مالطة عام ١٨٣٤م ليقوم بتصحيح كتاباتهم وبتدريس اللغة العربية هناك، ثم رحل من مالطة إلى إنجلترا وظل يتردد بين لندن وباريس للعمل على ترجمة «الكتاب المقدس»، وقد ألف فيما بعد عن هاتين الرحلتين كتابي «الواسطة في معرفة أحوال مالطة» و«كشف المخبا عن فنون أوربا»، ويعتبر هذان الكتابان من أهم روائع أدب الرحلة. وكذلك سافر إلى تونس وأشهر إسلامه بها عام ١٨٥٧م، ودعي بعد ذلك عام ١٨٥٧م إلى الآستانة وأصدر بها صحيفة «الجوائب» عام ١٨٦٠م حيث حققت نجاح هائل على مدى ربع قرن.

وقد دعا الشدياق إلى تطوير المعاجم العربية وتحسين محتواها من خلال نقده للقاموس التقليدي «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (١٣٢٩-١٤١٥م)، إذ اتهمه بالتخلف عن السير على نهج التطور الحضاري نظرًا لما حوى من مادة لغوية قديمة. وقد هاجمه الشدياق في كتابه الشهير «الجاسوس على القاموس» ليوضح قصور المعاجم العربية وطرق تأليفها القديمة قائلاً «أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يخص أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل الترتيب واضح التعاريف شاملاً للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف»^٦ وأصبح كتابه هذا مهد الدراسات المعجمية لمن جاءوا من بعده. ويعود هذا الاجتهاد اللغوي إلى أيام طفولته، وقد ذكر ذلك في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفاريق» بقوله «كان للفاريق ارتياح غريزي من صغره لقراءة الكلام الفصيح، وإمعان النظر فيه، ولالتقاط الألفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب»^٧.

وأيضًا ساهم كثيرًا في مجال تعليم اللغة العربية كرائد لتيسير النحو التعليمي للطلاب بكتابه «غنية الطالب ومنية الراغب»^٨ الذي يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية وهي النحو والصرف وحروف المعاني، وهو يتميز بسهولة وعدم الإطالة وخلوه من التعليل والشواهد المعقدة، حيث يقول المؤلف في مقدمته «فيذا فرضت أن الطالب يتعلم منها في كل يوم درسًا واحدًا مع التفهم لقواعده، والترسم لفوائده لم يمض عليه ثلاثة أشهر من الزمن، إلا وقد أدرك جل ما يطلبه من هذا الفن»، وقد طبع هذا الكتاب في الآستانة عام ١٨٧١م.

وقدم الشدياق العديد من المفردات المستحدثة عن طريق تعريب وترجمة كلمات إلى العربية أو إحياء مفردات سالفة في ترجماته وكتابه التي أضافت إضافة كبيرة إلى الدراسات العربية اللغوية. وحتى في عصرنا الحاضر نجد الكلمات الشدياقية (نسبة إلى الشدياق) تضع بصمتها في الكتابات العربية الحديثة ولغة وسائل الإعلام وغيرها. فقد تستخدم الآن مثلًا ألفاظ كانت موجودة في المعاجم العربية أهمها القدامى وأحيائها الشدياق لتبقى حتى يومنا هذا.

وقد اتبع الأساليب التالية في وضعه لألفاظ الحضارة والمصطلحات:

(١) الاشتقاق: ويعتبره الشدياق من أهم الوسائل لصياغة اسم المكان أو اسم الآلة، فيقول «على أن

٦ راجع كتاب «الجاسوس على القاموس» ص ٣.

٧ انظر في كتاب «الساق على الساق في ما هو الفاريق» ص ٣٥.

٨ وما زال هذا الكتاب محط أنظار المهتمين بعلوم اللغة العربية، فقد نجد بين أيدينا طبعات جديدة معاصرة مثل طبعة دار المعارف بتونس عام ١٩٩٢م.

أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو اسم الآلة. وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي. فما الحاجة إلى أن نقول (فبريقة) أو (كارخانة) ولا نقول معمل أو مصنع، أو نقول (بيمارستان) ولا نقول مستشفى، أو نقول (ديوان) ولا نقول مأمر، أو نقول (أسطراب) ولا نقول منظر»^٩.

(٢) النحت^{١٠}: وكان الشدياق من أشد المعجبين بالنحت وأول من شجع الكتاب والمثقفين على استخدامه. فقد أطلق على نفسه لقب «الفاريق» اختصاراً لاسمه من فارس والشدياق في دعوة منه لتنمية اللغة العربية كي تواكب المتطلبات الفكرية والحضارية للعصر الحديث.

(٣) المجاز: أي إحياء بعض الكلمات القديمة وإعادة استخدامها بدلالات أخرى، مثل السيارة للأتومبيل والهاتف للتليفون والبرق للتلغراف. فقد استعان بهذا الأسلوب لتوليد كلمات حديثة، مثل كلمة القاعدة للعاصمة والحافة للرصيف، والحافلة للعربة الكبيرة وغيرها من الكلمات التي وردت في كتابيه المذكورين بعاليه في أدب الرحلة.

(٤) الترجمة^{١١}: وهي نقل المفاهيم والمعاني والمسميات من لغة إلى لغات أخرى مثل قمر العسل (honeymoon)^{١٢} وألعاب النار (fireworks) كما استخدمهما الشدياق في مؤلفاته. فقد شغف بمجال الترجمة، وساعده ذلك في إنتاج العديد من المعربات، ومن اهتمامه الشديد بالترجمة والتعريب كتب الأبيات التالية والتي بين فيها المشاق التي كان يواجهها أثناء عمله. وقد اختصرتها هنا كما يلي:

إذا كان رب البيت أدري بما به	فإني أدري بالذي أنا كاتب
ومن فاته التعريب لم يدر ما العنا	ولم يصل نار الحرب إلا المحارب
أرى ألف معنى ما له من مجانس	لدينا وألفاً ما له ما يناسب
وألفاً من الألفاظ دون مرادف	وفصلاً مكان الوصل والوصل واجب
.....	
فيا ليت قومي يعلمون بأنني	على نكد التعريب جدي ذاهب ^{١٣}

٩ راجع «كنز الرغائب في منتخبات الجوائب» ج ١، ص ٢٠٢.
 ١٠ هو اختصار كلمة واحدة من كلمتين متعاقبتين مثل كلمة (درعمي) التي تعبر عن المتسبين إلى «كلية دار العلوم»، وكلمة (بسم) من (بسم الله)، ولزيم من التفاصيل راجع بحثي المقدم عام ٢٠١١، من ص ١٢ إلى ص ١٤.
 ١١ هناك نوع آخر يسمى عند البعض «التعريب» وهو نقل حروف الكلمة ونطقها بشكل مناسب ومريح في الاستخدام إلى لغة أخرى مثل موبايل (mobile) وأوتوبيس (autobus) وأيقونة (icon) وهذه الألفاظ يطلق عليها «المعرب» أو «الدخيل». ولكن مصطلح «التعريب» له تعريفات ومعاني كثيرة فقد يستخدم بمعنى أشمل مثل «تعريب التعليم» و«تعريب المجتمع» و«تعريب الألفاظ والأساليب» وغيرها.

١٢ شاع استخدام كلمة (شهر العسل) بدلاً من (قمر العسل) في الدول العربية. وقد نجد مثلاً آخر انتشر استخدامه في المجتمع العربي حالياً وهو كلمة (الهاتف الذكي) المترجمة عن كلمة (smartphone)، والهاتف كما ذكرنا سابقاً مجاز وكلمة (الذكي) مترجمة عن كلمة (smart).

١٣ راجع كتاب «أحمد فارس الشدياق» للدكتور المطوي، ص ٢٩٢.

ومن الألفاظ الأخرى التي وضعها الشدياق نجد ما يلي^{١٤}:

حافلة المجد	express train
الدوائية	Pharmacy
لعب الإشارة	pantomime
المدرسة الجامعة	university
المرأب	pension
المرآيا المكبرة	telescope
المشغل	factory
المشيخة	academy
المنصع	lavatory, toilet
اليـد القصيرة	'shorthand (writing)

هكذا ساهم الشدياق في إنتاج العديد من المصطلحات والألفاظ التي أثرت مفردات اللغة العربية وعملت على تحديثها. وسأطرق فيما يلي إلى أحد معاصريه الذي تقابل معه في نقاط واختلف معه في نقاط أخرى، وهو «إبراهيم اليازجي».

جهود اليازجي في التعريب وتحديث اللغة العربية:

نادى الأديب والصحفي اللبناني المعروف إبراهيم ناصيف اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦م) باليقظة العربية مستهلاً أبيات شعره بكلمات «تنبهوا واستفيقوا أيها العرب، فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب» معبراً عن تحمسه للنهضة، ومن الناحية اللغوية كان أيضاً من الشغوفين المهتمين بتيسير النحو وقضية التعريب. ولد اليازجي في بيروت عام ١٨٤٧م، وكانت بيئته التي نشأ وترعرع فيها تفرض عليه الاهتمام بإحياء اللغة العربية كلغة العصر، فقد كان لأبيه «ناصر اليازجي» مؤلفات كثيرة في النحو بأسلوب تعليمي ميسر، مثل «فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب»^{١٥} و«لمحة الطرف في أصول الصرف» عام ١٨٥٤م، و«نار القرى في شرح جوف الفرا» عام ١٨٦١م الذي اختصره إبراهيم اليازجي عام ١٨٨٢م، وله أيضاً «مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد» عام ١٨٨٨م وهو شرح لمؤلف أبيه «الجوهر الفرد». هكذا ولى اهتماماته لتعليم النحو وتيسيره على المتعلمين، فقد عمل في «المدرسة البطريركية» و«المدرسة الوطنية» لبطرس البستاني كمدرس لمادة اللغة العربية. وعكف أيضاً على مجال الترجمة، إذ كلفه المرسلون اليسوعيون في غزير (وهي بلدة بجبل لبنان) عام ١٨٧٢م بإصلاح ترجمة التوراة التي قضى فيها حوالي تسع سنوات ينقل من السريانية والعبرية واليونانية واللاتينية إلى اللغة العربية.

١٤ راجع بحثي المقدم عام ٢٠٠٩م، ص ١١ ولمزيد من الأمثلة انظر كتاب «أحمد فارس الشدياق» للدكتور المطوي، ج ١، من ص ٢٦٥ إلى ص ٢٦٨، وأيضاً كتاب «المولد في العربية» للدكتور حلمي خليل، من ص ٥٤٤ إلى ص ٥٤٦.
١٥ أي الاختزال.

١٦ يعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب النحو التعليمي خاصة في لبنان وسوريا، فقد أعيد طبعه في طبعات حديثة ونشره من عدة دور نشر مختلفة كنتيجة لازدياد الاهتمام باللغة العربية وتعليمها في هذا العصر.

نرح إبراهيم اليازجي إلى مصر وأسس بها مطبعة «البيان» عام ١٨٩٧م بمشاركة صديقه اللبناني الطبيب بشارة زلزل (١٨٥١-١٩٠٥م)^{١٧}، وقد تمكن من صنع حرف جديد آنذاك (بنط ٢٠) وشاع استخدامه في مسابك القاهرة والمطابع المصرية وغيرها من البلدان العربية.^{١٨} وقد تطرق إلى العديد من القضايا التي تتعلق بمسألة التعريب والألفاظ المولدة وتحديث اللغة العربية في مجلتي «البيان» و«الضياء» اللتين تولى رئاسة تحريرهما، وكتب سلسلة مقالات في موضوع «لغة الجرائد» التي تتبع فيها كتاب الصحف وضبط لهم أساليبهم في الكتابة. وكذلك كتب عدة مقالات تحت عنوان «التعريب» من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٠م، والتي طالب فيها بالتشجيع على تعريب المصطلحات العلمية واقتراح ألفاظ الحضارة الجديدة.

وكان اليازجي شديد الاهتمام بالاشتقاق والنحت والتعريب معتبراً إياها وسائل تفيد في إثراء اللغة العربية، فيقول «وأصبح الكاتب مضطراً إلى وضع المئات بل الآلاف من الأسماء التي لا يجد لها رديفاً في لسانه ولا في وسعه نقل تلك الألفاظ بصورتها إلى لغته لشدة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات أولئك الأقوام، لأن الألفاظ فيها محصورة الأوضاع، محدودة الصيغ، لا تقبل الزيادة عليها إلا منها، ولا يمكن أن تدس اللفظة الأجنبية بينها إلا بعد أن تجانسها وتؤاخيها».^{١٩} وقد استعرض في كتاباته في هذا المجال الكلمات المعربة التي وضعها ولاقت اهتمام الكتاب والمفكرين وارتياحهم لاستخدامها في ذلك الوقت مثل^{٢٠}:

البيئة	environment
الجناح	balcony
الحساء	soup
الحوذي	driver
الدراجة	bicycle
الرعد	torpedo
السفع	sunstroke
الشعار	emblem
المأساة	tragedy
المجلة	magazine
المقصف	buffet
المقصلة	guillotine

١٧ هو طبيب باحث، ولد ببلدة «كفيا» وتعلم في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية لاحقاً) ببيروت، وله كتابات عديدة في الطب والعلوم، وقد سافر مع اليازجي إلى مصر وأسهم بأبحاثه في مجلتي «الطبيب» و«المقتطف» وغيرهما، وتوفي في الإسكندرية. ولمزيد من التفاصيل انظر في «الأعلام» للزركلي، ج ٢، ص ٥٢ وكتاب «الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث» للدكتور الزركان، ص ٧٧.

١٨ راجع كتاب «تاريخ الطباعة في الشرق العربي» لخليل صابات، ص ٢٣٢ و ص ٢٣٣.

١٩ انظر مقالة «التعريب» التي نشرت في مجلة «الضياء» وأعيد نشرها ضمن كتاب «أبحاث لغوية» ص ١٩٩، وهو كتاب جمع فيه المحقق عدة مقالات لإبراهيم اليازجي من مجلات مختلفة.

٢٠ وقد عرضت بعض الأمثلة في بحثي المقدم عام ٢٠٠٩م، ص ١١. ولمزيد من الأمثلة راجع مقالة «التعريب» ضمن كتاب «أبحاث لغوية» ص ٢١١، ص ٢١٢.

فمنها ما انتشر استخدامه حتى استقر في ربوع العربية الحديثة مثل: المجلة، والمقصف، والدراجة، والمأساة وغيرها من الكلمات التي جعلت البعض يعتقد أن اليازجي «أكبر عالم لغوي في العصر الحاضر واتفق له ما لا يتيسر إلا لقليل من اللغويين».^{٢١}

ولعل من سمات نظرية التعريب عند اليازجي هي احترام الأصول اللغوية العربية الصحيحة والاعتماد على إحياء الألفاظ والتراكيب الميتة التي انقطع عهد الأقلام بها، فيقول «إذا لم نبادر إلى سن طريق يمكن بها وضع ألفاظ لهذه المستحدثات، أو سبك ألفاظ في قالب عربي لا تشبه به هيئة اللغة، لم نلبث أن نرى الأقلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الأمور بته، أو أصبح أكثر اللغة أعجميًا».^{٢٢}

وفي عام ١٩٠٤م ألف اليازجي كتاب «نجمة الرائد وشرعة الوارد» الذي جمع فيه مترادفات الألفاظ والتراكيب مما يكتبه المثقفون من مقالات وغيرها ليصبح كدليل بين أيدي الكتاب ومرجعًا لهم يلجئون إليه وقت الحاجة. فقد كان موضوع توحيد المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة مشكلة تشغل باله، لأنه كان من أكبر العقبات التي واجهها أثناء دعوته إلى النهوض بالوعي القومي من خلال إحياء اللغة العربية وتعزيز ترابط الأقطار العربية بها.

لمحة عن محاولات إنشاء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية:

كما ذكرنا فيما سبق، كان القرن التاسع عشر عصر انتعاش لحركة التعريب وبريق ضوء لتأليف كتب النحو التعليمي التي قادها رواد النهضة أمثال «أحمد فارس الشدياق» و«إبراهيم اليازجي» وغيرها من مثقفي النهضة. فقد أضافوا إلى العربية مسميات ومصطلحات جديدة وأساليب كتابية مبتكرة مستغلين المجالات والصحف وغيرها من وسائل الإعلام المطبوعة في نشرها.

فقد دخلت اللغة العربية مرحلة التجديد والتطور مع بداية وضع المصطلحات العلمية الحديثة، وكان وراء ذلك انتشار المطابع العامة والأهلية وازدهار حركة طباعة المجالات والصحف العلمية، خصوصًا في مجالات الطب والتعليم والسياسة والعلوم مثل «المقتطف» و«المهندس» و«روضة المدارس» وغيرها. ومن الجدير بالذكر أنه في أواخر القرن التاسع عشر، قامت مدرسة طب «أبو زعبل» في القاهرة بتدريس علوم الطب باللغة العربية عام ١٨٢٧م،^{٢٣} وأيضًا كلية الطب في الجامعة السورية كان لها نفس التجربة منذ تأسيسها عام ١٩٠١م. وتعتبر هاتان التجريتان خير دليل على نجاح تطبيق تعليم العلوم باللغة العربية.

وقد دعا ذلك إلى تأليف المعاجم العلمية العربية التي كان من أبرزها «معجم إنجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية» لحمد شرف، والمعروف باسم «معجم شرف». ويحتوي هذا المعجم على أكثر من ٧٠ ألف مصطلح، وقد لاقى ترحيبًا كبيرًا في الوسط العلمي واللغوي بعد صدور الطبعة المنقحة عام ١٩٢٨م حتى أن «الجمعية المصرية الطبية» دعت إلى اتخاذه كمرجع في سائر البلاد العربية ورأت أن الاكتفاء بما ورد فيه هو أفضل وسيلة لتوحيد المصطلحات الطبية.^{٢٤} وتوالت من بعده المعاجم العلمية العربية، فقد وضع أحمد عيسى «معجم أسماء النبات» عام ١٩٣١م، وألف أمين معروف «معجم الحيوان» عام ١٩٣٢م، وتلاه «معجم الألفاظ الزراعية» لمصطفى الشهابي عام ١٩٤٣م.

٢١ انظر كتاب «الشيخ إبراهيم اليازجي» لعيسى ميخائيل سابا، ص ٣٢.

٢٢ راجع مقالة «التعريب» ضمن كتاب «أبحاث لغوية» ص ٢٠٠.

٢٣ تم نقل مدرسة الطب من «أبو زعبل» إلى «قصر العيني» عام ١٨٣٧م.

٢٤ لمزيد من التفاصيل، انظر في ص ١٨٨ من كتاب «التعريب في القلم والحديث» للدكتور محمد حسن عبد العزيز.

وهكذا اتخذت ثقافة طباعة المجلات والصحف مسارًا موازيًا لمسار تأليف المعاجم المختصة مما زاد من حدة الجدل والنقاش بين رواد النهضة. فقد قام كل واحد منهم باقتراح العديد من الكلمات والمصطلحات الجديدة، واختلفت الآراء حول استخدامها وتنسيقها، فأدركوا ضرورة وجود مؤسسات علمية أو مجامع لغوية كي تحل القضايا التي كانت تواجهها اللغة العربية أثناء نقلها للعلوم والتقنية الحديثة.

وكان أول من دعا إلى إنشاء مجمع لغوي هو «أحمد فارس الشدياق» في صحيفة «الجوائب» عام ١٨٦٨م،^{٢٥} إذ نادى بضرورة وجود مؤسسة علمية تهتم بتنسيق المصطلحات وألفاظ الحضارة لمواكبة تطور العلوم. وجاء من بعده «إبراهيم اليازجي» الذي ناشد بفكرة تأسيس المجامع اللغوية قائلاً «وما كان أحوجنا إلى مجمع لغوي يوكل إليه البحث في هذه الأوضاع ويناط به إحياء اللغة وإلحاقها بسائر لغات أهل العصر».^{٢٦} وقد نالت الفكرة إعجاب علماء اللغة ومفكري الإصلاح أمثال محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) ورشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م) وهو الذي حث على ضرورة إنشاء المجامع بكتاباته في «المنار».^{٢٧}

وبناءً على رغبات العلماء والمفكرين في الإسراع بتأسيس مجمع لغوي لدفع الخطر الذي بات يهدد اللغة العربية، تكون أول مجمع لغوي غير رسمي على يد توفيق البكري (١٨٧٠-١٩٣٣م) تحت اسم «مجمع البكري» عام ١٨٩٢م. وكان أعضاؤه ٥٠ عضواً من العلماء المهتمين بأمر اللغة والمتقنين الإسلاميين أمثال محمد عبده ومحمد الشنقيطي (١٨٧٨-١٩٤٤م) وحفني ناصف (١٨٩٩-١٩٦٩م) وغيرهم،^{٢٨} وكان يهدف هذا المجمع إلى تنقية اللغة العربية من الشوائب التي علقت بها، وقد ناقش مسألة تعريب الكلمات الأعجمية الشائعة الاستخدام حينذاك ووضع بدلاً منها كلمات عربية مثل^{٢٩}:

كارت فيزيت	carte de visite (Fr.)	←	بطاقة
أفوكاتو	avocet (Fr.)	←	محامي
بوليس	police (Fr.)	←	شرطي
صالون	salon (Fr.)	←	بهو
بالطو	paletot (Fr.)	←	معطف
جواني	gauntlet (Fr.)	←	قفاز
بنحور	bonjour (Fr.)	←	عم صباحاً
برافو	bravo (Ital.)	←	مرحى

وتبعت هذه التجربة تجارب أخرى في إنشاء مؤسسات أو جمعيات تهدف إلى مناقشة أمور اللغة. ففي عام ١٩٠٧م قام «نادي دار العلوم» الذي كان يرأسه حفني ناصف،^{٣٠} بمنع استخدام العامية والكلمات

٢٥ راجع كتاب «أحمد فارس الشدياق» للدكتور المطوي، ص ٢٧٠.

٢٦ راجع مقالة «التعريب» ضمن كتاب «أبحاث لغوية» ص ١٩٩.

٢٧ انظر مجلة «المنار» ١٩٠٦م، المجلد التاسع، ج ٦، ص ٤٤٨. وقد قام الدكتور كوسوجي مشكوراً بتصوير مجلة «المنار» كاملة على أسطوانات مدججة (٢٠٠٣م) مع فهرس مواضيعها، فيسر على الباحثين مهمة التنقيب في أوراقها والاستفادة منها.

٢٨ لمزيد من التفاصيل راجع كتاب «مجمع اللغة العربية: دراسة تاريخية» للدكتور عبد المنعم الجميعي، من ص ١٥ إلى ص ١٦.

٢٩ لأمثلة أخرى، انظر «مجلة مجمع اللغة العربية»، ج ٧، ص ١٢٤.

٣٠ انظر «تقويم دار العلوم: صورة من العدد الماسي» ص ٥٠٧.

الدخيلة داخل «مدرسة دار العلوم»^{٣١} بهدف الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وأصبح شعارها كلمة محمد عبده «إن اللغة العربية تموت في كل مكان وتحيا في دار العلوم» التي تفسر لنا أوضاع المجتمع واللغة في ذلك الوقت.

ومع مطلع القرن العشرين بدأ تأسيس الجامعات العربية تباعاً استجابة لمطالب المجتمع وواقع اللغة. وتم إنشاء أول مجمع لغوي رسمي عام ١٩١٩م بقيادة «محمد كرد علي» (١٨٧٦-١٩٥٣م) في دمشق كمؤسسة حكومية، تحت اسم «المجمع العلمي العربي» بعد تخلصهم من الهيمنة التركية لغوياً وسياسياً.^{٣٢} ثم تأسس من بعده «مجمع فؤاد الأول» عام ١٩٣٢م بالقاهرة نتيجة لزيادة الاهتمام باللغة العربية كلغة وطنية ولغة رسمية في مصر. وفي عام ١٩٤٧م ظهر «المجمع العلمي العراقي» كي يكمل أهم منظومة ثلاثية رائدة في مناقشة مواضيع اللغة العربية من جوانب تحديث اللغة وتيسير النحو ووضع المصطلحات العلمية.^{٣٣} وكانت لكل مجمع برامج وخططه التي كان يهدف إليها، إلا أنني أرى أن هذه الجامعات قد اشتركت في أربعة أهداف وتعاونت على إنجازها وهي كما يلي:

- (١) الحفاظ على سلامة اللغة.
 - (٢) التشجيع على تحقيق المخطوطات وإحياء التراث العربي.
 - (٣) تناول قضية التعريب ووضع المصطلحات الحديثة.
 - (٤) تيسير النحو وقواعد الكتابة العربية (الإملاء).
- وهكذا قادت هذه الجامعات الثلاثة حركة تحديث اللغة لتربط بين الدول العربية وتحقيق أهدافها في توحيد المصطلحات وتنسيق الحركة اللغوية حتى أواسط القرن العشرين، وذلك لإيجاد لغة قومية مشتركة بين الشعوب العربية.

خاتمة:

إن العالم العربي قد مر بتغيرات كثيرة من الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية واللغوية على مر العصور، ومع حدوث كل تغير جديد تزداد أهمية اللغة العربية. فبحدوث الثورات العربية الآن واستقبال ربيع جديد، زاد الوعي بأهمية اللغة العربية كلغة إعلام، ولغة سياسة وتخطب، ولغة أدب وشعر أكثر مما كانت عليه فيما أعتقد. فعلى سبيل المثال، في تونس رفعت حركة النهضة الإسلامية شعار (ضد التلوث اللغوي) على الصعيد السياسي منتقدة الاستعمار اللغوي، وكذلك نجد المدونات التي يسجل شباب المغرب فيها آراءهم ترفع شعار (بلا فرنسية). وفي مصر واليمن والأردن وغيرها من الدول العربية نرى إقبالاً شديداً على إحياء الدعوة بالتمسك باللغة العربية والحفاظ عليها، فمثلاً يدعو أساتذة الجامعات والمتقنون إلى تعريب التعليم العالي والعلوم الطبية متخذين تجربة «أبو زعبل» و«الجامعة السورية» كنموذج ناجح يمكن الاحتذاء به. وقد تطرقت في هذا البحث إلى حركة النهضة وجهود روادها أمثال الشدياق واليازجي في الجوانب

٣١ تطورت إلى أن أصبحت كلية تنضم لجامعة القاهرة عام ١٩٤٦م.

٣٢ وأعتقد أن أول بحث تناول المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية بدمشق حالياً) من الناحية التاريخية هنا في اليابان، هو بحث قام به الدكتور نيتسوما عام ١٩٩٢م.

٣٣ قام الدكتور Sawaie بتعريف هذه الجامعات الثلاثة بالإضافة إلى «مجمع اللغة العربية الأردني» ١٩٧٦م و«اتحاد المجمع اللغوية والعلمية» ١٩٧١م في موجز كتبه ضمن «موسوعة اللغة العربية والعلوم اللغوية»، وقد استعرض فيه عدة مراجع مهمة تفيد في البحث في هذا الموضوع.

اللغوية، لأن تجربتهم هذه أوضحت لنا مدى ليونة اللغة العربية وقدرتها على تحدي متطلبات العصر وتغير المجتمعات. وأعتقد كباحث يعشق اللغة العربية أنني سأرى مستقبلاً حافلاً بإنجازات جديدة لها، وسوف أواصل رحلتي للتعمق في بحرهما في ظل التغيرات التي يواجهها العالم العربي.

المصادر والمراجع:

تاكيدا، توشيوكي. «النحت في اللغة العربية بين الأصالة والحداثة: تقدم العلوم ووضع المصطلحات الحديثة في العالم العربي المعاصر»، مجلة دراسات العالم الإسلامي، مركز دراسات الحضارة الإسلامية بجامعة كيوتو، الجزء ٤، العدد ١-٢، من ص ١٠ إلى ص ٢١، ٢٠١١.

جحاء، ميشال. سلسلة الأعمال المجهولة: إبراهيم اليازجي، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٢. الجميعي، عبد المنعم إبراهيم. مجمع اللغة العربية: دراسة تاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.

الجميعي، عبد المنعم إبراهيم. مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب في مصر، القاهرة، ١٩٩٩. خليل، حلمي. المولد في العربية: دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

رضا، محمد رشيد. المنار: مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، مطبعة المنار، القاهرة، المجلد التاسع، ج ٦، ١٩٠٦.

الزركان، محمد علي. الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨. الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.

سابا، عيسى ميخائيل. الشيخ إبراهيم اليازجي، دار المعارف، القاهرة، د. ت. الشدياق، أحمد فارس. الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، تركيا، ١٨١١. الشدياق، أحمد فارس. كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، مطبعة الجوائب، الآستانة، ج ١، ١٨٧١. الشدياق، أحمد فارس. غنية الطالب ومنية الراغب، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٢. الشدياق، أحمد فارس. مختارات من آثار أحمد فارس الشدياق، باعثناء يوسف قزما خوري وإشراف يوسف حسين إبيش، المؤسسة الشرقية، بيروت، ٢٠٠١.

الشدياق، أحمد فارس. الوساطة إلى معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوربا، باعثناء غادة يوسف خوري، مطبعة ألف، بيروت، ٢٠٠٢. الشدياق، أحمد فارس. كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، تحقيق درويش جويدي، الدار النموذجية، بيروت، ٢٠٠٦.

صابات، خليل. تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨. عبد الجواد، محمد. تقويم دار العلوم: صورة من العدد الماسي، كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٦٠. عبد العزيز، محمد حسن. التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠. الفتوح، أحمد. تاريخ الجمع العلمي العربي، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٥٦. مجمع اللغة العربية. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ج ٧، ١٩٥٣. المطوي، محمد الهادي. أحمد فارس الشدياق ١٨٠١-١٨٨٧: حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة،

- دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩.
- هارون، عبد السلام محمد. التراث العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.
- اليازجي، إبراهيم. لغة الجرائد، جمعه وقدمه نظير عبود، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٤.
- اليازجي، إبراهيم. كتاب نبعة الرائد وشرعة الورد في المترادف والمتوارد، مكتبة لبنان، ١٩٨٥.
- اليازجي، إبراهيم. أبحاث لغوية، إعداد وتحقيق يوسف قزما خوري، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.
- اليازجي، ناصيف. فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب، تقديم ومراجعة خالد كامل الطعاني، دار المتنبي، إربد، ٢٠٠٢.

- Kosugi, Yasushi (general editor). 2003. *CD-ROM al-Manar, 1898–1935*. Kyoto: COE-ASAFAS, Kyoto University.
- Niitsuma, Jinichi. 1992. “Arabiago Akademi Seiritsu no Rekishitekihaikai,” *Ajia no Gengo to Kyouiku*, Ajia Daigaku Gengo Bunka Kenkyujyo (ed.), pp.73–90.
- Sawaie, Mohmmmed. 2007. “Language Academies,” *Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics*. Leiden: Brill, Vol. 2, pp. 634–642.
- Takeda, Toshiyuki. 2009. *The Growth of Modern Standard Arabic and the Adaptation of Scientific Technological Terms: with Special Reference to Ta’rīb and Naht*. Kyoto Working Papers on Area Studies No.25, JSPS Global COE Program Series 23, In Search of Sustainable Humanosphere in Asia and Africa.

* This work was supported by the JSPS International Training Program (ITP) and this paper is a part of the outcome of my research “Arabicization of Scientific and Technical Terms in the Age of Globalization (2)” supported by the JSPS Global COE Program (in 2011) “In Search of Sustainable Humanosphere in Asia and Africa”.